قلت أنا : وكتب رسالته المشهورة عنه إلى أبي حمير سبأ بن أبي السعود أحمد بن المظفر بن عليّ الصّ ُليحيّ اليمانيّ بعد انفصاله عنه . رواها الحافظ أبو الطاهر السّ ِلفي عنه سنة اثنتين وستين وخمس مائة والرسالة المذكورة : كتب عبد حضرة السّ ُلطان الأجلّ ِ مولاي ربيع المجدبين وقريع المتأدبين جلاء الملتبس وذكاء المقتبس شهاب المجد الثاقب ونقيب ذوي المناقب أطال ا بقاءه وأدام علوّ َه وارتقاءه ما أجابت العادية المستغير ولزمت الياء التصغير وجعل رتبته في الأوّ َليّ َة وافرة السّ ِهام كحرف الاستفهام وكالمبتدأ لأنه وإن تأخّ َر في النّ َية فإنه مقدّ َمٌ في النّ ِيّ َة . ولا زالت حضرته للوفود مزدحماً ومن الحوادث حمىً حتى يكون في العلاء بمنزلة حرف الاستعلاء فإنّ َهنّ َ لحروف اللين حصونٌ وما جاورهنّ َ على الإمالة مصونٌ ولا زال عدوّ ُه كالألف في أنّ َ حالها يختلف فتسقط في صلة الكلام لا سيّ َما مع اللاّ َم . ولا يكون أولاً بحالٍ وإن تقدمّ َم همز فاستحال لأنه أدام ا علوّ َه أحسن إليّ َ ابتداءً ونشر عليّ َ من فضله رداءً أراد إخفاءه فكشف خفاءه . ومن شرف الإحسان سقوط ذكره عن اللّ ِسان كالمفعول رفع رفع الفاعل الكامل لمّ َا حذف من الكلام ذكر العامل . يهدي إليه سلاماً ما الرّ َوض ضاحكه النّ َوض غرس وحرس وسقي ووقي وغيث وصيب فأحذ من كل نوء بنصيبٍ زهاه الزّ َهر وسقاه النهر . جاور الأضا فحسن وأضا . رتعت فيه الفور ومرح به العصفور فطّ َلع من التّ ِمراد وقد ظفر بالمراد . فنظر إلى أقاحيه تفترّ ُ في نواحيه وإلى البهار يضاحك شمس النهار فجعل يلثم من ورده خدوداً ويهصر من أغصانه قدوداً ويقتبس النار من الجلّ َنار ويلتمس العقيق من الشقيق . فغرّ َد ثملاً وغنّ َى خفيفاً ورملاً بأطيب من نفحته المسكيّ َة وأعطر من رائحته الزكيّ َة . مع أني وإن أهديته في كلّ ِ أوانٍ عن أداء ما يجب عليّ غير وأنٍ أعدّ ُ نفسي السّ ُكيت لمّ َلاحق لما يجب عليّ َ من الحقّ ِ . أثرت فعثرت وجهدت فما أثرت . فأنا بحمد ا في حال خمولٍ وقنوعٍ وجنابٍ عن غير الغير ممنوعٍ فارقت المتّ َج بأزل ولزمت الخمول والاعتزال سعيى الجاهد وعيشي عيش الزاهد . ببلدٍ الأديب فيه غريبٌ والأريب كالمريب إن تكلّ ًم استثقل وإن سكت استقلل . منازله كبيوت العناكب ومعيشته كعجالة راكب فهو كما قال أبو تمام حيث قال : من الكامل .

أرض الفلاحة لو أتاها جرولٌ ... أعني الحطيئة لاغتدى حرّ َاثا .

لم آتها من أيّ ِ بابٍ جئتها ... إلاّ َ حسبت بيوتها أحداثا .

تصدى بها الأفهام بعد صقالها ... وتردّ ُ ذكران العقول إناثا .

ارضٌ خلعت اللاّ َهو خلعي خاتمي ... فيها وطلاّ َقت السّ ُرور ثلاثا .

وأما حال عبده بعد فراقه في الجلد فما حال أمِّ تسعةٍ من الولد ذكورٍ كأنهم عقبان وكورٍ . اخترم منهم ثمانيةٌ فهي على التاسع حانية . نادى النذير في البادية : يا للعادية بالعادية . فلما سمعت الداعي ورأت الخيل وهي سواعي جعلت تنادي ولدها : الأناة الأناة وهو يناديها : القناة القناة . من الكامل .

بطلٌ كأنَّ ثيابه في سرجه ... يحذى نعال السِّبت ليس بتوأم .

فحين رأته يختال في غضون الزَّرد المضون أنشأت تقول : من المتدارك .

أشدٌ أضبط يمشي ... بين طرفاءٍ وغيل .

لبسه من نسج داود ... كضحضاح المسيل .

فعرض له في العادية أسدٌ هصورٌ كأنَّ ذراعه مسدٌ معصورٌ : من الكامل .

فتطاعنا وتوافقت خيالهما ... وكلاهما بطل اللِّقاء مقنَّع .

فلما سمعت صياح الرعيل برزت من الصِّرم بصبرٍ قد عيل فسألت عن الواحد . فقيل لها : لحده الَّلاحد : من الوافر .

فكرَّت تبتغيه فصادفته ... على دمه ومصرعه السِّباعا .

عبثن به فلم يتركن إلاَّ ... أديماً قد تمزَّق أوكراعا .

بأشدَّ من عبده تأسفاً ولا أعظم كمداً ولا تلهُّفاً . وإنَّه ليعنِّف نفسه دائماً ويقول لها لائماً : لو فطنت لقطنت ولو عقلت لما انتقلت ولو سعدت لما بعدت . فتقول له مجيبةً : ليس كما ظننت بل لو قدمت لندمت ولو رجعت لما هجعت . من الطويل .

يقيم الرِّجال الموسرون بأرضهم ... وترمي النَّوى بالمقترين المراميا